Tahqiq
Research Journal of
the Faculty of Oriental Learning
Vol: 30. Sr. No.74, 2009, pp 143 - 171

تحقیق
مجلۂ کلیۂ علوم شرقیہ
جلد ۳۰، جنوری۔ مارچ، شمارہ ۷۴، ۲۰۰۹ء

الخضر بين التصوف والأدب

د. إبراهيم محمد إبراهيم*

Abstract

This research paper discusses Al-Khizar, peace be upon him, from the point of view of Islam, Sufism and the literature, especially the Oriental literature like Persian and Urdu. The research has proved that there are significant differences on personal details of Al-Khizar whether he was a prophet or not? Is he still alive or not? The research has also dealt with the special reference of Al-Khizar in the Persian and Urdu literature, especially in the wonderful poem of Allama Muammad Iqbal: the Khizar of road.

المبحث الأول: الخضر في التراث الديني

يعد "الخضر" من الرموز الدينية في التراث الإسلامى والصوفي من جانب، والتراث الشعبي والأدبي من جانب آخر، وهو رمز أثرى الشعر الأردي مثلما أثرى الشعر في اللغات الإسلامية عموماً.

ولم يرد اسم " الخضر" صراحة في القرآن الكريم في الآيات التي ذكرت قصته من سورة الكهف، ولم تذكر هذه الآيات إلا أنه "عبد": فوجد عبداً

* أستاذ ورئيس قسم اللغة الأردية بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر سابقاً، والأستاذ

الزائر بقسم دائرة المعارف الإسلامية بجامعة البنجاب حالياً.

من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمنا ه من لدنا علما"(1). وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات الكريمة، وخاصة فيما يتعلق باسم هذا "العبد"، فيقول "ابن كثير" في تفسيره: "وهذا هو "الخضر" عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ" (2).

وعن سبب تسمية "الخضر" عليه السلام بهذا الاسم يذكر "ابن كثير" حديثاً من صحيح البخاري يقول:

"عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إنما سمي "الخضر" لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من تحته خضراء" (3). وقال الإمام "الرازي" في "التفسير الكبير": "وقال إنما سمي بـ "الخضر" لأنه كان لا يقف موقفاً إلا اخضر ذلك الموضع"(4).وبنفس الطريقة اختار الإمام "فخر الدين الرازي" في "التفسير الكبير": اسم "الخضر" على أنه هو المعروف المشهور، والأحاديث الواردة في ذلك تدل عليه(5). واعتمد الشيخ "طنطاوي جوهري"أيضاً في تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" اسم "الخضر" لهذا العبد(6). وعلى نفس المنوال جاء تفسير هذه الآية في كتاب "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" حيث اعتمد المفسر اسم "الخضر" للعبد الصالح(7).

وقد جاء في أكثر التفاسير الأردية أيضاً أن اسمه هو "الخضر" ، ففي تفسير شيخ الإسلام "مولانا شبير أحمد عثماني"، والمدون على هامش ترجمة معاني القرآن الكريم طبعة مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة اعتمد الشيخ "شبير أحمد عثماني" اسم "خضر" للعبد الصالح الوارد ذكره في الآيات القرآنية الكريمة(8). واعتمد الشيخ "صلاح الدين يوسف" في تفسيره المدون على هامش ترجمة معاني القرآن الكريم طبعة مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة اسم "خضر" للعبد الصالح(9). ويؤكد الشيخ "أبو الأعلى

المودودي" على أن الأحاديث المعتبرة تخبرنا أن اسم العبد الصالح هو "خضر" (10). كما يعتمد الشيخ " محمد كرم شاه الأزهرى"في حواشي الترجمة التي قام بها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الأدرية اسم "خضر" للعبد الصالح قائلاً إن جمهور العلماء متفق على هذا الاسم، وأن الاسم الحقيقى لـ "الخضر" هو "بلياً بن ملكان"، وأن سبب تسميته بهذا الاسم هو أن المكان الذى يحل به الخضر يصير أخضراً(11).

هل كان الخضر نبيا

واختلف المفسرون حول هذه النقطة، فيذكر "ابن كثير" أن هناك من قال بأنه نبي، واستدلوا في ذلك بقوله تعالى على لسان "الخضر" "وما فعلته عن أمري"(12) رغم أن الله تعالى قال في مقدمة القصة "فوجد عبداً من عبادنا"(13)، بمعنى أن المفهوم من هذا أنه "عبد" وليس نبياً. ثم يقول "ابن كثير": "وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً، فالله أعلم" (14). وذكر الإمام "الرازي" في " التفسير الكبير" أن الأكثرين قالوا بأنه كان نبياً، واستدلوا على ذلك بسياق الآيات من أنه الله تعالى قال عنه "آتيناه رحمة من عندنا"، و " الرحمة" هي "النبوة"، وقال أيضاً: " وعلمنا من لدنا علما"، وهذا يقتضي أنه تعالى علمه لا بواسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد، وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الأمور بوحي من الله تعالى، وقال أيضاً: "هل أتبعك على أن تعلمني"، والنبي لا يتبع إلا نبياً، وقال أيضاً "وما فعلته عن أمري"، ومعناه فعلته بوحي من الله" (15).

وهكذا لم تقطع المصادر العربية بقول واحد فيما إذا كان "الخضر" "نبياً" أم كان "عبداً صالحاً" ليس إلا (16). كما اختلفت التفاسير الأردية أيضاً في هذا الأمر، فيرى الشيخ " أبو الأعلى المودودي" أن "الخضر" ليس من بني الإنسان، لأنه قام بأفعال "خرق السفينة" و "قتل الغلام" تتصادم مع آية شريعة ربانية، وهو ما لا يجوز لأحد أن يقوم به حتى ولو كان ذلك إلهاماً، ولذا لا مفر من اعتباره "مخلوقاً" مختلفاً عن البشر، كأن يكون من الملائكة مثلاً، أو أي مخلوق آخر ممن يأتمرون بأوامر الله مباشرة

وليس بأحكام شريعة من شرائع الله، ويبرر " الإمام المودودي" ما ورد في الآية القرآنية من أن "الخضر" هو "عبد" من عباد الله: "فوجد عبداً من عبادنا"(17) بأن هذا اللفظ ليس قاطع الدلالة على كون "الخضر" بشراً، فالملائكة أيضاً عباد الله، وأما ما ورد في الأحاديث الشريفة من أنه "رجل" فلا يقطع أيضا بأنه من البشر، فقد استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ لغير البشر أيضاً مثلما جاء في سورة "الجن" حين قال تعالى: " وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن" (18)، كما أن ظهور أي مخلوق من غير البشر أمام البشر لابد أن يكون في صورة البشر مثلما حدث في قصة "السيد مريم" أم سيدنا "عيسى" عليه السلام حين تمثل لها الملاك بشراً سوياً. قال تعالى: " فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً" (19). فلا مفر إذا من اعتبار "الخضر" من غير البشر(20).

بينما يرى أكثر المفسرين في اللغة الأردية أن "الخضر" كان "عبداً صالحاً"، م يكن من الملائكة وهذا هو رأي الشيخ صلاح الدين يوسف(21)، بينما يرى العلامة ناء الله باني بتي" في"التفسير المظهري" وغيره أن "الخضر" كان نبياً(22)، وهو ما يؤيده الشيخ " محمد كرم شاه الأزهري" باعتبار أن علم "الولي" علم ظني، بينما علم "النبي" علم قطعي، وخاصة أن الأفعال التي أتاها "الخضر" من الخطورة بمكان بحيث ينبغي أن يكون وراء ها علم يقيني بوحي من الله تعالى(23).

ومما اشتهر عن "الخضر" أيضاً في التصور الشعبي أنه "حي" إلى يوم القيامة، ويراه بعض الناس ويحادثونه، وأنه اختص بـ "إرشاد الضال" و "إغاثة الملهوف"، وتعليم " العلم اللدني" ولهذا التصور أصل في الدين الإسلامي، فقد قال: ابن كثير" في تفسيره: " وحكى في كونه باقياً إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولان، ومال النووي وابن الصلاح إلى بقائه، ورجح آخرون خلاف ذلك، ومال إلى أنه ليس حياً(24). وقال الشيخ "طنطاوى جوهري" إنه ميت لا حي(25).

أما الشيخ "محمد كرم شاه الأزهرى" فيؤيد رأي الشيخ "ثناء الله باني بتي" في " تفسير المظهري" من أن "الخضر" و "إلياس" ليسا من الأحياء بالمعنى المفهوم

لدينا، وإنما هما أحياء في شكل حياة خاصة أنعم الله بهما عليهما.

بينما يرى الشيخ "صلاح الدين يوسف" في تفسيره أنه ليس هناك دليل على أن "الخضر" لا يزال حياً، وأن رؤية بعض الناس له في حالة المكاشفة أو اليقظة لا تثبت أنه هو "الخضر"، فإذا لم يكن هناك دليل قطعي على شكله وحليته فكيف يتعرف عليه من يلقاه(26). ويرى الشيخ أ ن ما يدعيه بعض الصوفية مما يسمونه بـــ "العلم اللدني" أمر غير صحيح، وخاصة حين يستدلون على ذلك بقوله تعالى "فوجد عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمنه من لدنا علماً"(27)، لأن علم "الخضر" صرح الله تعالى به، بينما لم يصرح به لغيره، وإلا كان علينا أن نصدق المشعوذين والدجالين(28). ويرى الشيخ "أبوبكر الجزائرى" في تفسيره "أيسر التفاسير لكلام العلي القدير" أن كل ما أتاه "الخضر" كان بوحي إلهي، وليس مما يدعيه جهلاء الناس ويسمونه بـــ "العلم اللدني" ويضيفونه إلى ما يسمونهم الأولياء، وقد يسمونه كشفاً، ويؤكد بطلان هذا أن النبي ﷺ قال: إن "الخضر" قال لموسى: أنا على علم مما علمني ربي وأنت على علم مما علمك الله، وإن علمي وعلمك إلى علم الله إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من البحر(29).

المبحث الثاني: الخضر فى التراث الصوفي

وللخضر لدى المتصوفة مكانة كبيرة، ولذلك وجدناهم يتحدثون عنه في مؤلفاتهم، ويذكرون حياته الخارقة للعادة، فيذكرون أنه يطير في الهواء، ويعيش على سطح الماء، ويعيش في الصحاري والأودية والجبال، ويرشد الضال، ويهدي الحيارى، ويغيث الملهوف، ويعين المحتاج، ولديه من "العلم اللدني" ما ليس عند أحد غيره، وأنه لا يزال حياً، وأنه يتقابل مع "إلياس" - الذي لا يزال حياً هو الآخر- كل عام في "عرفات"، وهذا كله جاء في كتاب "اللمع" لـــ أبي نصر السراج" الصوفي(30).

والخضر في اصطلاح الصوفية كما ورد في قاموس المصطلحات والتعبيرات العرفانية"(31)، كناية عن "البسط"، و "إلياس" كناية عن "القبض". ويقول "عبد الرازق الكاشاني" "عن الخضر" أنه "كناية عن القبض، وأما كون الخضر شخصاً إنسانياً

باقياً من زمن موسى عليه السلام إلى هذا العهد، أو روحانياً بتمثل بصورته لمن يرشده، فغير محقق عندي، بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس"(32).وجاء في التفسير الصوفي "تفسير أدبي وعرفاني قرآن مجيد" باللغة الفارسية عن "الخضر" ما يلي:

"ذكر في بعض الكتب أن اسمه "بلياء"، وإن "الخضر" هو لقبه، وأن أمه "رومية" وأباه "فارسي" من أهل إيران"، والبعض يعده نبياً، والبعض الآخر يعده ولياً، ويقولون إن "الخضر" و "إلياس" "نبى بني إسرائيل" على قيد الحياة، ويتقابل كل منهما مع الآخر سنوياً في "عرفات"، وسيبقيان ما بقي القرآن"(33).

ومن المعجزات التي تنسب إلى "الخضر" واشتهرت عنه كما أشرنا سابقاً "مشيه على الماء"، وحياته بالقرب منها، أو أنه يعيش في الصحراء وبين الأودية والجبال، وهو ما ورد في كتب الصوفية، فقد جاء في كتاب "فوائد الفوائد" من ملفوظات الصوفي الكبير "نظام الدين أولياء" ما يلي: "كان هناك فيما مضى من الزمن رجل صالح، وذات مرة افترش هذا الرجل الصالح سجادة الصلاة على الماء وشرع يصلي وهو يقول: يارب، إن "الخضر" قد ارتكب كبيرة من الكبائر فتب عليه منها".

"وفي تلك الأثناء حضر "الخضر" عليه السلام وقال: أيها الشيخ، أي كبيرة ارتكبها أنا حتى أتوب منها؟. فقال الشيخ: لقد زرعت شجرة في الصحراء، وجلست أنت تحتها مستريحاً، ثم تقول إنك فعلت هذا لوجه الله تعالى ' عندئذ تاب "الخضر" عليه السلام من فعلته هذه على الفور (34) .

ونحن هنا لا نبحث في كون الخضر كان "نبياً" أم "ولياً" أم كان "عبداً" من عباد الله الصالحين، وهل لا يزال "حياً" أم "توفاه" الله تعالى، أم أنه يحيا "حياة خاصة"، كما أن المجال هنا ليس البحث فيما يقوم به من "أعمال" وما ينسب إليه من "معجزات"، أو الحكم على كل هذا من وجهة النظر الدينية، وإنما كل الذي يهمنا هو أن نعرف إن كان التصور الشعبي عن "الخضر" عليه السلام يستند إلى أساس ديني أو

صوفي، أم أنه من اختراع "الفعل الجمعي" لدى الشعوب المسلمة. ومن الواضح أن تصور "الخضر" لدى عامة المسلمين قد تأسس على أسس دينية وصوفية، وإن كان الأمر كله محل خلاف بين الفقهاء والمفسرين والمتصوفة الكرام، لكن هذا التصور تسلل إلى الآداب ولقى فيها رواجاً كبيراً حتى صار "الخضر" رمزاً من رموز الشعر في هذه الآداب، وتخص هنا على وجه التحديد الشعر الأردي الذي هو مجال تخصصنا.

المبحث الثالث: الخضر في الشعر الفارسي

هذا وقد تناول شعراء الفارسية "الخضر" في أشعارهم، وبرزت في أشعارهم صفاته الظاهرية مثل الملبس وغيرهما، كما ركزوا على كونه "حياً" لم يمت، وذلك لأنه شرب من "ماء الحياة: آب حيات" التي يكتب الخلود لمن يشرب منها، وأنه أعطى علماً غزيراً. وقد نقل الشعر الأردي عن الشعر الفارسي هذه المعاني مما سوف نلحظه عند الحديث عن "الخضر" في الشعر الأردآ. وهذا هو الشاعر الفارسي "الخاقاني" يصف "الخضر" بـ "طيب الخلق" و "غزارة العلم" و "ليس الثياب الأخضر" قائلاً ما ترجمته.

- هو من الحلم طيب الخلق كأنه المسك الصيني، وهو من العلم ممتلئ اللب مثل جوز الهند.
- تلك الشيبة التي حول وجهه كأنها الأرجوان، وكأنها ثلج منسوج حول النار.
- ثوبه دائماً أخضر كالفسق واللوز المقشر.
- كان يتولد بعد كل خطاب من نصف هلاله شمس(35).

ويقول "الخاقاني" في ممدوحه ما ترجمته:

- صاحب الدلق والعصا كأنه الخضر وكأنه الكليم، الكتر طريقة أسفل الدلق والثعبان مختف في العصا(36).

ويقول أيضاً:

- هو فتى عالم هاد وزير معين، وهو الكليم وهارون والخضر يوشع(37).

ويقول ''الخاقاني'' في مدح ''جلال الدين شرو انشاه ''مشبها إياه بـ ''الخضر'' الذي يبسط سيطرته على العالم، فقد وجد الملك ''ماء الخضر''، وأصبح

''الخضر'' من الذين يسيرون في موكبه: المعنى:

- الملک الذي له مكان كيخسرو في الشرق والغرب، والخضر الذي له علامة الأسكندر في الرق والغرب.
- لقد وجد الملک ماء الخضر ونار موسى، وترى عزمه وحزمه هذا وذاک معاً.
- هو الملک الذى له منزلة الأسكندر، وفي موكبه ترى الخضر وموسى سائرين معاً(38).

وجاء ذكر "الخضر" في منظومة "هفت بيكر: الهياكل السبعة "الفارسية للشاعر" نظامي الكنجوي"، وتحكي في قصة من قصصها " أن "ماهان" تاب إلى الله، وطلب منه وسيلة لعلاج ألمه، فظهر له رجل يرتدي ملابس خضراء:

- قال أنا الخضر يا عبدالله، جئت حتى آخذ بيدک.
- لقد تقدمت بسبب نيتک الحسنة، لكي أوصلک إلى منزلک.
- انهض واعطني يدک، أغمض عينک وافتحهما.
- عند ما سمع ماهان سلام الخضر، كان كالظمآن الذي رأى ماء الحياة(39).

ويصف شعراء الفارسية "الخضر" بأنه "حي" لم يمت، وأنه نال "الخلود" بـ "العشق" وليس بالشرب من "ماء الحياة: آب حيات"، وهذه الصفات في معظمها مبنية على ما ورد عن "الخضر" في التراث الإسلاممي والصوفي. يقول الشاعر الفارسي الشيخ "عبدالله الأنصاري" في معرض حديثه عن "العشق":

- مقصود القلب ومراد الروح هو العشق، ورأس مال العمر والحياة هو العشق.
- إنه العشق الذي نال به الخضر البقاء، يعني أن الحياة الخالدة هي العشق(40).

وأكد شعراء الفارسية على خلود "الخضر" وربطوا ذلک بـ "ماء الحياة" التي قيل إنه شرب منها فكتب له الخلود. يقول مولانا "جلال الدين الرومي" في إحدى غزلياته:

- فهل أنت كلک روح؟ أو أنت خضر الزمان، أو أنک ماء الحياة؛ لأن منک كل هذا النشوء والنماء(41).

واشتهر خلود "الخضر" وارتباط ذلک بـ "ماء الحياة" لدى الشعراء حتى

أطلقوا على "ماء الحياة" هذه "ماء الخضر"، وشبهوا ريق المحبوب بهذا الماء في الحلاوة وروعة المذاق. يقول "حافظ الشيرازي" في أحدى غزلياته:

- شهد ثغرك روّج ماء الخضر،وشفتك السكرية سلبت سكر مصر الرواج(42).

ويقول "حافظ الشيرازي" في نفس الغزلية ما يدور في نفس المعنى السابق من تشبيه فم المحبوب بـ "ماء الحياة" وشفته بـ "الخضر":

- شفتك الخضر، وفمك ماء الحياة، وقدك سرو، وخصرك شعرة، وصدرك كالعاج(43).

ومع ذلك يظل ذكر "الخضر" بشكل عام، سواء في الشعر أو النثر مرتبطاً بشكل أو بآخر بالتصوف، ولهذا وجدنا مولانا "جلال الدين رومي" يستدل بقصة "الخضر" في "المثنوي المعنوي" على ضرورة "المرشد" لـ "السالك". يقول مولانا "جلال الدين الرومي" في "المثنوي المعنوي" تحت عنوان "سر طلب كردن موسى خضر را عليهما السلام با كمال نبوت وقربت: سر طلب موسى للخضر مع كمال نبوته وقربه"(44):

- علم من كليم الحق أيها الكريم، وانظر إلى يقوله الكليم من الشوق.
- ومع ما كان له من نبوة وجاه، "قال" أنا طالب للخضر بري من الغرور.
- يا موسى لقد هجرت قومك، وصرت شريداً في إثر مبارك القدم.
- أيها العظيم لقد نجوت من الخوف والرجاء، فحتام تسعى؟، وحتام تبحث؟، وإلى أين؟.
- إن مطلوبك - معك وأنت واقف عليه، أيتها السماء - حتام تقطعين الأرض؟.
- قال موسى: قللوا من هذا الملام، وقللوا قطع الطريق على الشمس والقمر.
- إنني أمضي غلى مجمع البحرين، حتى أصير في صحبة سلطان الزمن.
- "اجعل الخضر لأمري سبباً، ذاك أو أمضي وأسري حقباً"(45).
- ولأحلق سنوات بالجناح والقوادم، وما ذا تكون السنوات، بل آلاف السنوات.
- أجل لأمش، أليس يستحق هذا ذاك؟ فلا تعتبر عشق الأحبة أقل من عشق الخبز.
- هذا الكلام لا نهاية له أيها العم، فاروا لنا قصة الدقوقي ذاك(46).

المبحث الرابع: الخضر فى الشعر الأردي

يشهد تاريخ الأدب الأردي أن الرعيل الأول ممن كتبوا بهذه اللغة - شعراً ونثراً- كانوا من المتصوفة الكرام الذين أخذوا على عاتقهم نشر الدين الإسلامي بين غير المسلمين في بلاد شبه القارة الهندية، بالإضافة إلى نشر نظريات التصوف بين الذين دخلوا في الإسلام، وكان هذا على وجه التحديد هو الغرض من كتابتهم باللغة الأردية التي كان يتحدث بها قطاع عريض من أهل البلاد وإن كانت لا تزال حتى ذلك الوقت تعد حديثة النشأة والأدب أيضاً، ولهذا جائت المؤلفات الأولى في الأدب الأردي لا تحمل أهمية أدبية بقدر ما تحمل أهمية دينية وتاريخية، إذ كان الهم الأول لمؤلفيها هو توصيل المعلومة الدينية أو الفقهية أو الصوفية بغض النظر عن المسحة الأدبية التي تجعل من هذه المؤلفات إبداعات أدبية.

ونظراً لأن فنون الأدب الأردي الأولى -شعرية ونثرية- كانت تقليداً لفنون الأدب الفارسي صاحب السطوة والذيوع والانتشار في شبه القارة الهندية في ذلك الوقت، باعتبار أن اللغة الفارسية كانت اللغة الرسمية للحكومات الإسلامية المتعاقبة على البلاد، لهذا انتقلت معظم رموز الأدب الفارسي وتلميحاته إلى الأدب الأردي، ووظفها الأدباء في إنتاجهم الأدبي دون شعور بغربتها عنهم أو الإحساس بأنها دخيلة على لغتهم.

ومن الرموز الدينية والأدبية التي تناولها شعراء الأردية نقلاً عن الفارسية وتقليداً لها نجد "الخضر" كرمز بارز بين هذه الرموز، يحمل في طياته كل المعاني والخلفيات التي استخدمها شعراء الفارسية من قبل، فهو ذلك الحكيم الذي يعرف ما لا يعرفه غيره، وهو المرشد للحيارى الهادي لمن ضلوا الطريق، وهو الذي يعيش في الصحاري والوديان وعلى صفحات مياه الأهار والبحار، وهو الذي شرب من "من ماء الحياة: آب حيات" فكتب له الخلود، وغير ذلك من الصفات التي لازمت شخصية "الخضر" نقلاً عن الأدب الفارسي. وبالتالي وجدنا كل هذه المعاني بين ثنايا دواوين شعراء الأردية على مر القرون.

و "الخضر" في المعجم الأردي يحمل الصفات التي سبق الحديث عنها، فيذكر "مولوي نور الحسن نيّر كاكوروي" في معجم "نور اللغات" أن: "الخضر نبي معروف ينسب إليه أنه شرب من ماء الحياة فكتب له الخلود، ويستعمل كناية عن

المرشد"(47)، ونجد نفس المعنى في معجم "فيروز اللغات" حيث يقول: "الخضر عرف بأنه نبي، وينسب إليه أنه شرب من ماء الحياة فكتب له الخلود، وأنه سيبقى حياً أبد الدهر" (48)، وجاء تركيب "خضر راه" في المعاجم الأردية بمعنى "المرشد"، وتركيب "خضر صورت" بمعنى "ذو اللحية البيضاء الطويلة"، أي "على صورة "الخضر"، والنسبة إلى "الخضر" في الأردية تعني "العمر الطويل"(49). وهذا كله وغيره(50) مما نجده في التراث الصوفي عن "الخضر".

فإذا ما تطوقنا إلى الشعر الأردي وجدنا شاعر الأردية الكبير "مرزا أسد الله خان غالب" يشير في ديوانه إلى صفة من صفات "الخضر" التي عرف بها وهي صفة "العمر الطويل الممتد" فيقول ما ترجمته:

- لا ينفع سحر العجز والحاجة في حل مشكلة ما، فلتقبل يا رب دعائي بأن يطول عمر "الخضر"(51).

وأصبح تعبير "عمر خضر دراز" تعبيراً يقال عندما يكون الشيء المطلوب موجوداً قبل طلبه، وكان "غالب" في البيت المذكور يطلب من الله شيئاً موجوداً من قبل وهو "العمر الطويل للخضر"(52).

ويقول "غالب" أيضاً:

- يمضي العمر بلا فائدة حتى وإن كان كعمر "الخضر"، وحتى هذا "الخضر" أيضاً سيقول عند قيام الساعة ما ذا فعلنا "في الدنيا"(53).

و "غالب" هنا يرى أن العمر قصير، ولا يمكن الإنسان من تحقيق شيء ذي بال في الحياة، حتى وإن كان هذا العمر في "طول عمر الخضر".

هذا وقد عرف "غالب" باعتزازه بنفسه، وحبه لذاته، وشعوره بأنه ليس أقل من أولئك الذين اشتهروا بين الناس ، وبالتالي فهو أحق أن يكون في مقدمتهم، ولا يحتاج إلى اتباع أحد من هؤلاء المشاهير حتى ولو كان "الخضر" نفسه الذي عرف عنه أنه "المرشد" الذي يتمنى السالكون اتباعه والاقتداء به، فيقول:

- لسنا مضطرين إلى اتباع "الخضر"، لقد اعتبرناه مجرد شيخ يشاركنا في

السفر(54).

أى أن مقامنا في السلوك ليس أقل من مقام "الخضر" من أنه "المرشد الهادي" مما انتقل إلى الشعر الأردي من الشعر الفارسي، ويعتمد على أساس ديني سبقت الإشارة إليه نستقيه من قصته مع سيدنا موسى عليه السلام.

ويقول "غالب" أيضاً ما ترجمته:

- ما هذا الذي فعله "الخضر" بـ "الأسكندر"، من الذي نتخذ منه مرشداً إذاً(55).

وهنا نجد الربط بين "الخضر" و "الأسكندر" على خليفة الأسطور التي تقول إن "الأسكندر" منها فمات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، ويستنتج "غالب"من هذا أنه لا ينبغي الاعتماد على أحد، فالمثال أمامنا في قصة "الاسكندر" و "الخضر"، لكن يبغي - طبقاً ما يوحي به الجو العام للغزلية كلها - السماح والعفو وعدم الحزن من الآخرين.

ومن الجمع بين "الخضر" و " الاسكندر" أيضاً ما قاله "غالب" في قصيدة مدح بها" نصرت الملک.

- أنت لي بمثابة "الاسكندر"، ولقاؤک فخر لي، ولو أني شرفت بلقاء "الخضر" أيضاً(56).

فشبه "نصرت الملک" بـ "الاسكندر" في الثروة والسمو، وبـ "الخضر" في العلم والعرفان، وهو من التشبيهات الموجودة بكثرة في الشعر الفارسي أيضاً.

ويجمع "غالب" بين "الخضر" و "الاسكندر" و "ماء الحياة" في بيت من الشعر قاله في مدح السلطان(57).

- هل من الممكن أن يذكرک "الخضر" لـ "الاسكندر" دون أن يغسل شفهه ويطهرها بماء الحياة!(58).

يعني أن الحديث عن السلطان وذكره يحتاج إلى تطهير الشفاه التي ستذكره بـ "ماء الحياة"، فـ 'الخضر" لا يستطيع ذكرالسلطان لـ "الاسكندر" دون أن يطره شفاهه هو الآخر بـ "ماء الحياة"، ولذا ذهب إليها.

ويقول "غالب" أيضاً ما ترجمتنه:

- يا خضر، نحن الأحياء الذي نعرف الخلق فعلاً، وليس أنت حيث تعيش كلص مختفياً عن الأنظار في طلب الخلود(59).

وهنا ينتقد "غالب" في "الخضر" حياته "بعيداً عن الناس" حتى يظل خالداً، فلا يعرف عنهم شيئاً إلا من كان سعيد الطالع فيحظى بلقائه مصادفة، فإن هذا - في نظر غالب - ليس هو الحياة الحقيقية، وإنما يتصف بالحياة الحقيقة والخلود أولئك الذين يعيشون بين الناس يعرفون مشاكلهم ومتاعبهم، فيعملون على تقديم يد العون لهم، ويكونون سبباً في تخليصهم من هذه المشاكل والمتاعب.

ويقول "غالب" واصفاً حلاوةً "المانجو" ومذاقها الرائع:

- أو أن "الخضر" قد زرع غصن سكر النبات، وظل يرويه لفترات طويلة بـ "ماء الحياة"(60). وفيه الربط بين "الخضر" و "ماء الحياة" وطعمها الجميل اللذيذ، وهو ما سبق أن رأينا مثله في الشعر الفارسي.

ولم يكن "غالب" فقط هو الذي تفرد بذكر "الخضر" في أشعاره، وإنما ذكره أكثر شعراء الأردية - كما سبق أن ذكرنا - على مر العصور، فها هو الشاعر "ذوق" يقول:

- يا ذوق، الأفضل من لقاء "المسيح" و "الخضر" أن ألقى أحد الأصدقاء القدامى(61).

وقد جمع "ذوق" بين "الخضر" و "المسيح" في شعره، بدلاً من الجمع بين "الخضر" و "الاسكندر" كما عهدناه عند غيره ممن سبقوه، وربما يعود ذلك إلى أن كلاً من "المسيح" و "الخضر" لا يزالا أحياء في التصور الإسلامي والصوفي كما سبق أن وضحنا(62)، إذ أن هذا هو وجه الشبه بينهما عند ذكرهما كرمزين أدبيين، وقد جمع "ذوق" بينهما في بيت آخر حين قال:

- لو سمع "المسيح" و "الخضر" روعة وصف العشاق للموت لتمنوه(63).

والشاهد هنا كما هو واضح وصف "الخضر" بأنه لا يزال "حياً".

وفي نفس المعنى يقول "ذوق":

- لو يعلم "الخضر" متعة الموت لما شرب "موت الحياة"، بل لأغرق نفسه فيها(64).

ويقول أيضاً:

- سنعلم عند الموت حتى وإن كان العمر كعمر "الخضر" أننا لم نعش طويلاً، فكأننا جئنا إلى الحياة لتوّنا، ورحلنا عنها فوراً(65).

وقد لاحظنا مثل هذا المعنى عند الحديث عن "الخضر" في شعر "غالب"، وليس من الضروري أن يكون أحدهما تأثر من الآخر، نظراً لن مثل هذه المعاني من الأفكار التي ترد على خاطر الجميع، وإن كنا لا نستبعد هذا التأثر.

ويقول "ذوق" أيضاً:

- لن أتناول الكأس حتى وإن كان الساقي هو "الخضر" طالماً لم يكن فيه "ماء الخلود"(66).

وارتباط "الخضر" بـ "ماء الحياة" واضح ومطروق لدى شعراء الفارسية والأردية على ماسبق الحديث عنه. ويتشكك "ذوق" في موضع عمر "الخضر" الطويل وخلوده الذي ناله بشربه من "ماء الحياة"، إذ كيف يتحقق مثل هذا في هذه الحياة التي أسست على الفناء. يقول:

- ليست حكايات "الخضر" و "ماء الخلود" إلا أساطير، فأين المجال لمثل هذا في هذه الدنيا الفانية(67).

وكليات "ذوق" تمثلي بمثل هذه المعاني عن "الخضر"، وأمثلتها كثيرة يصعب حصرها في بحث كهذا.

ومن الشعراء الذين ذكروا "في أشعارهم "حيدر علي آتش"، يقول مخاطباً "الخضر":

- يا "خضر"، أجرني، ابن الطريق إلى الهدف المنشود، لقد ابتعدت عني أنا المسكين الديار كثيراً(68).

و "الخضر" هنا بما عرف عنه من أنه "المرشد" للحيارى، "الهادي" لمن ضل الطريق. ويقول: "آتش" مشيراً إلى عمر "الخضر" الطويل:

- سيطول عمره أكثر من عمر "الخضر" ذلك البيت يشرب الماء الذي يغسل فيه المحبوب ضفائره(69).

ويشير "آتش" إلى قوة إيمان "الخضر" ويقينه في البيت التالي فيقول:

- ذلک الذي كنت أحسن الظن به كان يسيء الظن بي، ذلک الذي كان اعتقادي فيه كاعتقاد "الخضر" كان قاطع طريق(70).

وفي البيت التالي يشفق "آتش" على "الخضر" من أن يسأله عن وطنه ليدله عليه، ومردّ هذا الإشفاق هو أن "آتش" يرى في "الخضر" غريباً عن الوطن مثله. يقول:

- بأي صفة أسأل "الخضر" عن طريق وطني، فإنه يبدو لي أنه غريب الوطن والآخر(71).

ومع ذلک فإن "الخضر" في تصوره هو "المرشد" و "الدليل" حتى وإن لم يتحج إلى مساعدته في الوصول إلى هدفه. يقول "آتش":

- لا أحتاج إلى الخضر ليرشدني في الطريق إليک، فإن شوقي إليک يقوم بعمل الدليل(72).

وهناک أمثلة كثيرة في هذا الخصوص نجدها في كليات "آتش" تدور حول هذه المعاني وغيرها. ومن الشعراء الذين ذكروا "الخضر" في أشعارهم أيضاً الشاعر "مؤمن"، فيقول:

- عند ما رأى "الخضر" حارة المحبوب قال بحسرة: أموت الآن بشرط أن أدفن في هذه الحارة(73). والشاهد هنا هو أن "الخضر" لا يزال حياً. ومن الشعراء الذين تناولوا "الخضر" في أشعارهم الشاعر "عدم"، وقد جمع هو الآخر بين "المسيح" و "الخضر" باعتبار أن كلاهما حيّ وذلک حين قال:

- لتكن حياة المسيح والخضرة فداءً لتلک الساعة التي مرت في سعادة(74).

وجمع "عدم" بينما ثانية حين قال:

- حيث تنسدل ضفائرک المعطرة الجميلة.
- فإن عيون روح "الخضر" و "المسيح" تستغيث من الظمأ(75).

ثم جمع بينهما ثالثة حين قال:

- تلک الجميلات اللائي يسعدننا أرفع مقاماً من المسيح والخضر(76).

ثم جمع بينهما أيضاً في إحدى رباعياته فقال:

- بالأمس جاء نا نداء من الحانات أن أيها الدراويش السرمديين أقبلوا.
- "بجنن الخلوجارية، فأقبلوا وفوزوا بأعمار كأعمار"المسيح" و "الخضر" (77).

ومن الواضح أن معظم استخدامات "عدم" لرمز "الخضر" هنا على خليفة ما اشتهر به من "طول العمر"، وهذا ما حدا به إلى أن يقرنه بـ "المسيح" في كون كل منهما لا يزال "حيا". ثم يجمع بينهما أيضاً في الرباعية التالية.

- هذا العذاب المتواصل أيها الساقي، ليت الحياة كانت قصيرة.
- ليتنا نمنح ليلة جميلة وسحراً جميلاً بدلاً من عمر كعمر"المسيح"و"الخضر" (78).

والحقيقة أنه بمطالعة ديواني "عدم" وهما "كردش جام: دوران الكأس" و "شهر خوبان: مدينة الحسناوات" لم نعثر فيهما على ذكر لـ "الخضر" إلا مقترناً بـ " المسيح"، وما أوردناه هنا إحصاء كامل للديوانين في هذا الخصوص.

ومن شعراء الأردية الذين ورد لديهم ذكر لـ "الخضر" نجد الشاعر الكبير "الطاف حسين حالي". يقول "حالي" مشيراً إلى ما هو معروف عن "الخضر" من أنه يهب لنجدة الملهوفين:

- أقبل أيها "الخضر" فإن الوقت وقت المساعدة، إذ أن السفينة تترنح منذ أمد بعيد في الدوامة(79). ويقول أيضاً مشيراً إلى ما عرف عن "الخضر" من طويل العمر:
- لو قدر لي أن أحتسي كأس الموت في يثرب "المدينة المنورة"، لما شربت من " من ماء الخلود"(80).

وفي البيت التالي يشير "حالي" إلى ما اشتهر من أن "ماء الحياة" مجهولة للبشر، ولا يعلم مكانها إلا "الخضر" فيقول:

- إنني مختف عن أعي أهل الدنيا مثلما أن "عين الخضر" مختفية عنهم(81).

ويقول الشيخ " محمد حسين آزاد" مشيراً إلى ما اشتهر عن "الخضر" من أنه يظهر للحيارى ليهدئ من خاطرهم ويريح صدورهم، وأنه يظهر في ظلام الليل وله نور:

- فجأة وفي سواد الليل ظهر لي نور، فوجدت "الخضر" قبالتي يخاطبني قائلاً:
- أي غم وحزن أغرقت نفسك فيه أيها الغافل، اخرج من بيت الأحزان ذات مرة وانظر(82).

وبالتالي رسم شعراء الفارسية والأردية لـ "الخضر" صورة - إذا حاولنا تقديمها من خلال أشعارهم - مبنية على الخلفية الدينية والصوفية، وربما داخلها بعض من التصور الشعبي مما يفرزه العقل الجمعي لدى الشعوب، فهو:

"رجل وقور أبيض الثياب - وأحياناً أخضره - ذو لحية بيضاء طويلة، وجهه منير، لا يعتريه ضعف أو موت، ولا تقف أمامه قيود المكان ولا الزمان، ينطق بالحكمة ويتصف بالعلم الغزير الذى يتلقاه مباشرة من الله تعالى، فيعرف ما لا يعرفه غيره، ويعيش خارج العمران بعيداً عن الناس، ويستقر بين الأودية والصحاري والجبال وعلى صفحات مياه الأنهار والبحار، وقد يطير في الهواء، ولا يظهر إلا لمحتاج أسعده حظه ممن ضلوا الطريق أو أصابته الحيرة، فيقدم له ما يحتاجه، ويدله على الطريق، ويخلصه من الحيرة، كما أن أكثر ظهوره للمتقين وأولياء الله الصالحين".

هذه هي الصورة التي تخرج بها لـ "الخضر" من خلال مطالعة الأشعار الفارسية والأردية التي قدمناها، ولم نجد فرقاً كبيراً في استعمال شعراء الفارسية وشعراء الأدرية لـ "الخضر" كرمز في أشعارهم، وهي النبع الذي استقى منه العلامة "إقبال" تصوره عن "الخضر" عليه السلام، ووظفه بمهارة في خدمة القضايا التي تناولها في شعره.

لقد تناول معظم شعراء اللغة الفارسية واللغة الأردية "الخضر" كرمز شعري يدل على "المرشد" و "الهادي"، سواء كان هؤلاء الشعراء ذوي مشارب صوفية أم لا، وقد رسخ هذا التصور - تصور المرشد والهادي - في الموروث الفكري والأدبي لدى شعراء الفارسية والأردية قبل اقبال، فإذا ما وصلنا إلى "العلامة محمد إقبال" رأيناه يتناول "الخضر" في أشعاره على نفس النمط الذي تناوله به من قبله من الشعراء وإن وظفه بما يتناسب مع قضايا عصره، وخاصة قضايا المسلمين التي كانت تشغل باله وتؤرق فكره، ومن الاستعمالات النمطية لرمز "الخضر" في شعر "إقبال" قوله في مدح "حضرت محبوب إلهي" حيث ذهب لزيارة ضريحه في "دهلي"(83).

- زيارة لحدك حياة القلب، ومقامك أرفع من مقام"المسيح" و"الخضر"(84).

ونلاحظ هنا أنه ربط أيضاً بين "المسيح" و "الخضر" على غرار ما فعل عراء الأردية من قبله، وذلك بقاً لما هجو رائج في التراث الأدبي من أن "المسيح" عليه السلام كان يحي الأجساد بإذن الله، وأن "الخضر" عليه السلام لا يزال حياً، بينما تحي زيارة ضريح الشيخ "محبوب إلهي" القلوب، ومع ذلك فقد أخذ "إقبال" في توظيف رمز "الخضر" للتعبير عما يعتمل بداخله من أفكار كانت بمثابة اللبنات الأولى في فلسفته. يقول:

- سل "الخضر" ذا القدم المباركة عن سر الحياة، سيخبرك أن الحياة قائمة لم تتوقف المحاولات لطلبها(85).

وهنا نلحظ بداية تساؤلات "إقبال" عن الحياة وأسرارها، وهو ما سوف يتبلور فيما بعد فيما عرف بفلسفة الحياة عند "إقبال". ويقول أيضاً في منظومة له بعنوان "شفا خانه حجاز":

- ما يجده العاشق من لذة في مرارة شراب الموت المر لا يجد "الخضر" مثلها في خمر العمر الطويل(86).

وهو كما نرى من المعاني التي طرقها الشعراء قبل "إقبال" من تفضيل الموت عشقاً على العمر الطويل في حياة كحياة "الخضر"، وأن "الخضر" لو استشعر ما في موت العاشق من لذة ومتعة لتمنى الموت والدفن في حارة المحبوب. ومع ذلك فإن "إقبال" يشير في هذا البيت إلى أنه مثلما تكمن "الحقيقة" في ثنايا "المجاز" فإن "الحياة" كذلك تكمن في ثنايا "الموت"، يعنى أن "الحياة" أمر عارض، فهي إذاً مثل "المجاز"، وأن "الموت" حقيقة، وأنه لا بد آت.

ويقول "إقبال" في سياق حديثه عن إقبال المسلمين بلا تروّ على التعليم الغربي، وتخليهم عن التعليم الديني وهجرهم له، مما سيؤدي بهم في النهاية إلى البعد عن الصراط المستقيم:

- لقد همت عشقاً بالتعليم امتثالاً لأوامر "القائد"، إذ أنه على جوّاب الصحراء أن يمتثل لأمر "الخضر"(87).

ويشير "إقبال" في هذا البيت بتعبير "فرمان خضر: أمر الخضر" إلى الحكام

والمسؤلين بنوع من السخرية، والبيت المذكور يصعب فهمه على وجهه الصحيح إلا في سياق المنظومة كلها.

وفي سياق حديثه عن "المحبة" وكيف شكلها الله تعالى يقول "إقبال":

- ثم أذيبت هذه الأجزاء في ماء الحياة، وأطلق على هذا الخليط اسم "المحبة" من قبل العرش الأعظ(88).

وهذا البيت استكمال لما سبقه من أبيات في المنظومة تدور حول تشكيل "المحبة" وكيف أنها تكونت من أجزاء اقتطفت من مفردات الكائنات كلها، فمن النجوم لمعانها، ومن القمر حرقة قلبه، ومن الليل سواده، ومن الحور طهارتها، ومن عيسى عليه السلام حرارة أنفاسه، ومن الله القدير استغناؤه، ومن الملائكة تواضعها، ومن قسمة الندى قلة حيلته، ثم أذيبت هذه الأجزاء كلها في "ماء الحياة: جشمهء حيوان"، وأطلق على هذا الخليط كله اسم "المحبة".

وفي تضمين لبيت من أشعار الشاعر الفارسي "حافظ الشيرازي" يشير "إقبال" إلى "ماء الحياة" من خلال مدحه للبعد عن مواقف الشبهات، والانخراط في التفكير والتأمل بدلاً من الاختلاط الذي لا قيمة له، وذلك في منظومة بعنوان "ايک خط کے جواب مين: في الرد على خطاب". يقول:

- إن كنت ترغب في الجلوس مع الخضر فعليك أن تظل كماء الحياة مختفياً عن عيون الاسكندر(٨٩). وفي حوار بينه وبين "الخضر" يقول "إقبال":
- بالأمس سألني "الخضر" على شاطئ النهر قائلاً: أتبحث عن ترياق لسم الإفرنجة.
- إن لدي فكرة كأنها السيف، حادة وبراقة ولامعة.
- آية الكافر أنه يهيم في الآفاق، وآية المؤمن أن الآفاق تهيم فيه(٩٠).

و "إقبال" هنا يشير إلى المؤمن الحق الذي قدمه في نظريته عن "رجل الله: مرد خدا" من أن الكافر تستغرقه الدنيا، بينما يستغرق المؤمن هذه الكائنات، أي أن الكافر إما أن يخاف من الأشياء فيقدسها، مثلما عبد القدامى الثعابين والشمس والقمر والنهر وغيرها، أو أنه ينخرط في الدنيا تماماً حتى ينسى الله، أو ينخرط في البحث عن الأشياء المادية حتى ينسى كل شيء وينسى الله أيضاً، فإن كان قد اخترع أشياء عجيبة

فقد نسي الله، وأضرت مخترعاته الإنسانية أكثر مما أفادتها. والشاهد هنا هو أن الذي أخبر "إقبال" بهذا الكلام هو "الخضر"، وأخبره به عند "النهر". وسوف نجد هذا التصور لـ "الخضر" عند "إقبال" في منظومته [خضر راه]، حيث يتخذ "إقبال" من "الخضر" مرشداً يوجه له أسئلة فيجيبه "الخضر" عليها، وإن كان "الخضر" هنا أجاب "إقبال" بغير سؤال منه. وفي منظومة "خضر الطريق: خضر راه" للعلامة "إقبال" يتضح لنا التالي:

- التقى "إقبال" "الخضر" عليه السلام ليلاً على ساحل النهر، وهو ما يتوافق مع التصور العالم عن "الخضر" عليه السلام.
- وصف "إقبال" "الخضر" عليه السلام في منظومته هذه بأنه "شيخ شاب"، وأنه " لا يستقر في مقام"، وهو وصف يعتمد على التصور الديني والصوفي الذي أشرنا إليه في ثنايا البحث.
- انتقد "إقبال" في "الخضر" عليه السلام إصراره على أن يعيش متجولاً في الصحاري والوديان بعيداً عن العمار والتجمعات البشرية، واستغرق هذا مقطوعة كاملة من المنظومة، فأجاب "الخضر" عليه السلام في مقطوعة تالية على هذا الاعتراض، مبرراً ذلك بأن هذا التجوال الدائم في الصحراء هو دليل الحياة، وأن المرتبطين بالمنازل المتعلقين بالأرض لا يتمكنون من معرفة الحياة على حقيقتها، فقد حرموا التفكر والتدبر في مشهد مثل مشهد القوافل في الصحراء، وصلصلة الأجراس ترتفع في الفضاء إيذاناً بالرحيل، أو مشهد الغزال وهويقفز على تلال الرمال خالي البال لا يحزنه شيء ولا يثقل كاهله متاع، أو مشهد إطلالة النجوم عند السحر كأنها وجه جبريل عليه السلام يطل من السماء، أو مشهد تجمع القوافل في الصحراء حول عيون الماء كتجمع المؤمين في الجنة حول "عين السلسبيل".
- أكد "الخضر" عليه السلام للعلامة "إقبال" أن الدافع وراء كل هذا هو "العشق" الذي لا يدع صاحبه يركن إلى الزمان أو المكان، و "إقبال" بهذا

يؤكد على نظرية "العشق" التي قدمها ضمن فلسفته، والتي تجعل العشق هو السبب الأساسي في "البقاء" و "الخلود"، ونلمس أثراً لهذا الطرح عند بعض شعراء الفارسية فيما قدمناه في ثنايا البحث حين قالوا بأن سبب خلود الخضر ودوام حياته هو "العشق" وليس "ماء الحياة".

- قدم "إقبال" جواً عاماً للمنظومة يتناغم مع التصور المعروف عن "الخضر" من أنه يظهر عند صفحات مياه الأنهار والبحار، فجاء ذكر مفردات مثل "الماء - النهر - الجدول - الساحل" وما شابهها كثيراً في أبيات المنظومة مثل:
- كنت مستغرقاً ذات ليلة على شاطئ النهر.
- كان النظر حائراً، أهذا نهر أم صورة الماء؟
- كان الموج الثائر كامناً في مكان ما من الأعماق.
- يا من تكشف لعينيك العارقة بالدنيا ذلك الطوفان.
- ولم تر تجمع القوافل حول عيون الماء كتجمع المؤمنين في الجنة حول عين السلسبيل.
- الحياة في الحرية بحر لا شاطئ له، وفي العبودية تتناقص وتصبح نهراً قليل الماء.
- ظهرت في بحر الوجود كفقاعات الماء.
- إن كانت الهمة عالية فإنها لا تقبل حتى النهر.
- صارت دماء المسلمين في رخص الماء.
- من ساحل النيل حتى أرض كاشغر.
- لقد شاهدت منتهى قوة سير النهر، انظر الآن كيف يكون الموج الهائج وثاقاً له.
- استعان "إقبال" في منظومته هذه بكثير من الرموز والتلميحات الدينية والأدبية مما أضاف إلى روعتها وجمالها وقوة تأثيرها مثل:
- رغم أن "الاسكندر" ظل محروماً من "ماء الحياة":
- سل قلب "فرهاد" عن حقيقة الحياة.
- حتى تنتج "بدخشان" من جديد ياقوتها الثمين.

- عيون "إياز" من تأثير سحر "محمود".
- ويحطم أي: "موسى" لغز "السامري".
- لقد سقاك ساحر "الموط" أوراق "الحشيش".
- فإلى متى الأساطير المنوّمة لـ "إسكندر" و "جمشيد".
- ضمّن "إقبال" منظومته بعض الآيات القرآنية، ولمح إلى بعضها مثل:
- تعالى أخبرك بسر آية "إن الملوك". والآية من قوله تعالى: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة" - سورة النمل - ۳۴.
- وليكن في اعتبارك دائماً أن "الله لا يخلف الميعاد"، وقد ورد هذا الجزء من الآية كثيراً في القرآن الكريم.
- نار، وأولاد إبراهيم، والنمرود. والتلميح إلى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، والتي وردت في القرآن الكريم في سورة البقرة - آية رقم ۲۵۸، وفي سورة الأنبياء من آية رقم ۵۱ إلى آية رقم ۷۰، وقد سبق ذكرها في هوامش منظومة "إقبال".
- وسفينة المساكين، والنفس الزكية، وجدار اليتامى. والتلميح إلى قصة "الخضر" عليه السلام مع سيدنا "موسى عليه السلام"، والتي وردت في سورة الكهف من الآية رقم ۷۱ حتى الآية رقم ۸۲.

الخاتمة ونتائج البحث

- "الخضر" عليه السلام شخصية دينية ثابتة الوجود بالقرآن والسنة.
- يوجد اختلاف بين علماء الدين فيما إذا كان "الخضر" عليه السلام من البشر، أم من الملائكة، أم كان مخلوقاً ربانياً مختلفاً، وإن كانت الأكثرية على أنه من البشر.
- هناك اختلاف بين المفسرين حول المكان الذي التقى فيه "الخضر" عليه السلام بسيدنا "موسى" عليه السلام فيما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى "مجمع بينهما".
- هناك شبه إجماع على أن اسمه هو "الخضر" عليه السلام.

- هناك اختلاف بين المفسرين فيما إذا كان "الخضر" عليه السلام "نبياً" أم لا.
- لـ "الخضر" عليه السلام أهمية كبرى في التصوف الإسلامي باعتباره "المرشد" و "الهادي"، وهو في تصورهم كناية عن "القبض".
- تناول شعراء الفارسية "الخضر" عليه السلام كرمز شعري يدل على "المرشد" و "الهادي" تأثراً بما ورد عنه لدى المتصوفة الكرام.
- انتقل هذا التصور عن "الخضر" عليه السلام إلى الشعر الأردي من الشعر الفارسي مثل معظم الرموز الدينية والأدبية التي تناولها شعراء الأردية في أشعارهم.
- ليس هناك فرق كبير بين الصورة التي رسمها شعراء الفارسية لـ "الخضر" عليه السلام، والصورة التي رسمها شعراء الأردية.
- جاء تناول شعراء الأردية والفارسية لـ "الخضر" عليه السلام في بيت أو أبيات قلائل لتعبر عن معنى من المعاني وردت عنه لاستخلاص حكمة ما أو عبرة من العبر.
- جاء ت الصورة التي رسمها الشعراء لـ "الخضر" عليه السلام مبنية في معظمها على الخليفة الدينية والصوفية: "فهو رجل وقور أبيض الثياب وأخضره، ذو لحية بيضاء طويلة، وجهه منير، لا يعتريه ضعف أو موت، نال بالبقاء والخلود لأنه ششرب من "ماء الحياة"، أو بسبب العشق، ينطق بالحكمة، ويتصف بالعلم العزير، ويعرف ما لا يعرفه غيره، ومع ذلك فهو في بعض الأحيان يبدو أقبل منزلة وعلماً من الصوفي الذي يلقاه، وربما جلس منه مجلس التلميذ، وهو يعيش خارج العمران بعيداً عن الناس، ويستقر بين الأودية والصحاري والجبال وعلى صفحات مياه الأنهار والبحار، وقد يطير في الهواء، وهو في تجوال دائم، ويمكن استدعاؤه بدعاء خاص وصلاة خاصة، ولا يظهر إلا لمحتاج أسعده حظه ممن ضلوا الطريق، أو أصابته الحيرة، أو أثقله دين، أو كان من أولياء الله الصالحين".
- كان العلامة "إقبال" أول من تناول "الخضر" عليه السلام في منظومة كاملة طويلة دار فيها حوار طويل بينهما كرس فيه "إقبال" صفة من صفات "الخضر" وهي صفة "العلم والمعرفة".

- أجرى العلامة "إقبال" على لسان "الخضر" عليه السلام أجوبة لأسئلة كانت تور بخلده، وتؤرق فكره، وتتعلق بأحوال المسلمين في عصره، والتحديات التي يواجهونها، وهو استغلال جديد وحسن لهذا الرمز الديني والصوفي.
- تعتبر منظومة "خضر الطريق: خضر راه" حلقة من حلقات فلسفة "إقبال" وتكريساً لها.
- أثرى العلامة "إقبال" منظومته بالآيات القرآنية والأشعار الفارسية والصور البيانية الشعرية والرموز والتلميحات الأدبية مما زاد المنظومة قوة وجمالاً.
- لا نعدم استخدام العلامة "إقبال" لرمز "الخضر" عليه السلام في ثنايا شعره الأردي بنفس المعاني التقليدية التي تناولها من سبقه من الشعراء.

الهوامش

1- سورة الكهف: 82.

2- مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني - المجلد الثاني - دار البيان العربي - القاهرة - مصر - ط -6 1988م - ص 427.

3- المرجع السابق - ص ٤٣٢، والمراد بالقروة ههنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، وقيل المراد بذلك وجه الأرض على حد قول ابن كثير في تفسير.

4- التفسير الكبير للإمام الرازي - الجزء الحادي والعشرون - تفسير سورة الكهف - ص ١٣٦.

5- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي -الجزء الحادي والعشرون - تفسير سورة الكهف - مصر - ص ١٣٣.

6- الشيخ طنطاوي جوهري -الجواهر في تفسير القرآن الكريم - تفسر سورة الكهف - مصر - ص ٢٢٢.

7- أبوبكر الجزائري -أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - المجلد الثاني - جدة - السعودية - ط ١ - ص ٦٦٢.

8- انظر ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية لشيخ الهند مولانا محمود الحسن بهامش تفسير مولانا شبير أحمد عثماني - سورة الكهف - طبعة المملكة العربية السعودية - هامش صفحة ١٠٤.

9- راجع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية للشيخ محمد الجونا كرهي بهامش تفسير الشيخ صلاح الدين يوسف - تفسير سورة الكهف - طبعة المملكة العربية السعودية - هامش صفحة ٨١٩.

10- راجع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية للإمام المودودي - تفسير سورة الكهف - هامش صفحة ٧٦٩، لاهور - باكستان - الطبعة التاسعة ١٩٩١م.

11- راجع هامش صفحة ٣٩ من المجلدات الثالث لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية للشيخ محمد كرم شاه الأزهري - لاهور - باكستان ١٣٩٩هـ.

12- سورة الكهف - آية رقم ٨٢.

13- سورة الكهف - آية رقم ٦٥.

14- تفسير ابن كثير - المجلد الثاني - تفسير سورة الكهف - ص ٤٣٢.

15- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي -الجزء الحادي والعشرون - تفسير سورة الكهف - ص ١٣٦.

16- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - المجلد الثاني - تفسير سورة الكهف - ص ٦٦٢.

17- سورة الكهف - آية رقم ٦٥. 18- سورة الجن - آية رقم ٦.

19- سورة مريم - آية رقم ١٧.

20- أبو الأعلى المودودي -تفهيم القرآن - المجلدات الثالث - لاهور - باكستان ١٩٩٢م - تفسير سورة الكهف - ص ٤٢ وانظر أيضاً ترجمة القرآن للشيخ المودودي - تفسير سورة الكهف - ص ٧٧٣.

21- تفسير القرآن للشيخ صلاح الدين يوسف على هامش ترجمة القرآن إلى اللغة الأردية التي قام بها الشيخ محمد الجونا كرهي - تفسير سورة الكهف - ٨٢٤، ٨٢٥.

22- انظر ضياء القرآن للشيخ محمد كرم شاه الأزهري -المجلد الثالث - تفسير سورة الكهف - ص ٣٨.

23- المرجع السابق - ص ٣٨.

24- انظر تفسير ابن كثير -المجلد الثاني - تفسير سورة الكهف - ص ٣٨.

25- الشيخ طنطاوي جوهري - الجواهر في تفسير القرآن الكريم - تفسير سورة الكهف - ٢٣١.

26- انظر تفسير الشيخ صلاح الدين يوسف - سورة الكهف - ص ٨٢٥.

27- سورة الكهف - آية رقم ٦٥.

28- تفسير الشيخ صلاح الدين يوسف - ص ٨٢١.

29- انظر: أيسر التفاسير -المجلد الثاني - تفسير سورة الكهف - ص ٦٦٩.

30- أبو نصر السراج الصوفي -كتاب اللمع - حققه وقدم له وأخرج أحاديثه د. عبد الحليم محمود وطه عبدالباقي‌سرور - دار الكتب الحديثة - مصر ١٣٠٨ هـ/١٩٦٠م - ص ١٧٩، ٦٥، ٢٢٤، ٣٣٢.

31- راجع دكتر سيد جعفر سجادي - فرهنگ اصطلاحات وتعبيرات عرفاني - جاب ششم - تهران ١٣٨١هـ. ش - ص ٣٥٢، ٣٥٣.

32- عبدالرزاق الكاشاني - اصطلاحات الصوفية - حققه وقد له د. عبد الخالق محمود - الطبعة الثانية ١٩٨٤م - ص ١٦٩، ١٧٠.

33- خواجه عبدالله الأنصاري - تفسير أدبي وعرفاني قرآن مجيد - الجزء الثاني - تهران - الطبعة الحادية عشرة ١٣٧٤ هـ - ص ١٦.

34- فوائد الفوائد - ملفوظات الشيخ نظام الدين أولياء -المجلد الثاني - ترجمة من الفارسية إلى الأردية خواجه حسن ثاني نظامي دهلوي - إعداد أمير حسن سنجري - لاهور - باكستان ٢٠٠٣م - المجلس الثاني والثلاثون - ص ٢٤١.

35- د. نجلاء محمد أمين - القصص القرآني وآثره في الشعر الفارسي - بحث مقدم المؤتمر الترجمة ودورها في تفاعل الحضارات - جامعة الأزهر (٢٣ - ٢٥ يونيو ١٩٩٨م) - ص ٥.

36- المرجع السابق - ص ٥. 73- المرجع السابق - ص ٦.

38- د. إسعاد عبد الهادي قنديل -فنون الشعر الفارسي - ص ٢٠٩.

39- د. ميرفت سمير - شخصية بهرام كور في منظومة هفت بيكر والمصادر الفارسية الأخرى - رسالة دكتوراه - بمكتبة كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر - فرع البنات - القاهرة - ص ٢٧٠، ٢٧١. وأشكر الدكتورة ميرفت على إمدادي بالرسالة.

40- د. إسعاد عبدالهادي قنديل - فنون الشعر الفارسي - ص ١٨٩.

41- د. إسعاد عبد الهادي قنديل - فنون الشعر الفارسي - ص ٢١٤.

42- د. إسعاد قنديل - فنون الشعر الفارسي - ص ٢١٩.

43- د. إسعاد قنديل - فنون الشعر الفارسي - ص ٢٢٠.

44- مولانا جلال الدين الرومي - مثنوي مولوي معنوي - ترجمه إلى الأردية قاضي

سجاد حسين - المجلد الثالث - لاهور - مصر ١٩٩٧م - ص ١٧٩، ١٨٠.

45- وعند ما عبرت من واحدة، تصل أحدث منها، تصل تلك التي تكون أرفع درجة منها.

46- مثنوي مولانا جلال الدين الرومي - ترجمه وشرحه وقدم له د. إبراهيم الدسوقي شتا - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - مصر ١٩٩٧م - ص ١٧٩، ١٨٠.

47- مولوي نور الحسن نير كاكوروي - نور اللغات أردو - كراتشي - باكستان ١٩٥٩م - ص ٦٣٩.

48- فيروز اللغات أردو جامع - لاهور - باكستان ١٩٩٩م - ص ٥٩١.

49- نور اللغات - ص ٦٣٩، فيروز اللغات - ص ٥٩١.

50- سبق أن أشرنا إلى تصور الخضر في التصور الصوفي، ويقول عنه عبد الرازق الكاشاني في معجمه اصطلاحات الصوفية: "الخضر كناية عن البسط وإلياس كناية عن القبض، وأما كون الخضر عليه السلام شخصاً إنسانياً باقياً من زمن موسى عليه السلام، أو روحاً يتمثل بصورته لمن يرشده، فغير محقق عندي، بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه، ثم يضمحل، وهو روح ذلك الشخص، أو روح القدس". انظر: عبدالرازق الكاشاني - اصطلاحات الصوفية - حققه وقدم له د. عبد الخالق محمود -الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م - ص ١٦٩، ١٧٠.

51- ديوان غالب - مرتبه نور الحسن نقوي - لاهور - باكستان ١٩٨٧م - ص ٨٣.

52- انظر: غلام رسول مهر - نوائے سروش - لاهور - باكستان ١٩٨٨م - ص ٢٤١.

53- ديوان غالب - ص ١٤٩. 54- المرجع السابق - ص ١٥٦.

55- المرجع السابق - ٢٠٣. 56- المرجع السابق - ٢٤٤.

57- بهادر شاه ظفر آخر سلاطين الدولة المغولية والذي عاصره غالب وكان أستاذاً له، وقد توفي بهادر شاه ظفر عام ١٨٦٢م منفياً في رنگون.

58- ديوان غالب - ٢٤٦. 59- المرجع السابق - ٢٦١.

60- المرجع السابق - مثنوي در صفت انبه - ص ٢٣٢.

61- كليات ذوق - مرتبه د. تنوير أحمد علوي - جلد أول - لاهور - باكستان - يناير ١٩٦٧م - ص ٣٦٨.

62- والقرآن الكريم يؤكد على أن المسيح عليه السلام لم يقتله أحد، ولم يصلبه أحد، بل رفعه الله إليه. قال تعالى: "وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً" - سورة النساء - آية رقم ۱۵۷، ۱۵۸.د

63- كليات ذوق - الجزء الأول - ص ۳۱۵ز 64- المرجع السابق - ص ۲۶۹.

65- المرجع السابق - ص ۱۴۹. 66- المرجع السابق - ۳۳۶.

67- المرجع السابق - ص ۲۴۹. 68- المرجع السابق - ص ۲۵۵.

69- كليات آتش - الجزء الأول - إعداد سيد مرتضى حسين فاضل لكهنؤى - لاهور - باكستان ۱۹۷۳ م - ص ۳۹۴.

70- المرجع السابق - ص ۲۵۶. 71- المرجع السابق - ص ۹۸.

72- المرجع السابق - ص ۱۱۹. 73- المرجع السابق - ص ۱۱۹.

74- كليات مؤمن - إعداد كلب علي خان - لاهور - باكستان ۱۹۶۴ م - ص ۱۹۱.

75- عدم - ديوان كردش جام - لاهور - باكستان ۱۹۶۶م - ص ۲۵.

76- المرجع السابق - ص ۱۱۶. 77- المرجع السابق - ص ۷۱.

78- عدم - ديوان شهر خوبان - لاهور - باكستان ۱۹۶۷م - ص ۳۸.

79- المرجع السابق - ص ۵۳.

80- ديوان حالي - إعداد فرحت صبا - لاهور - باكستان ۱۹۸۶م - ص ۵۳.

81- المرجع السابق - ص ۸۶.

82- مولانا محمد حسين آزاد -خمكدهء آزاد- دهلي - الهند ۱۹۳۰ م - ص ۸۲.

83- قال إقبال هذه المنظومة "التجاء مسافر " أثناء زيارته لضريح "حضرت شيخ نظام الدين محبوب إلهي" وذلك في اليوم الثاني من شهر سبتمبر عام ۱۹۰۵م أثناء استعداده للسفر إلى أوروبا لاستكمال دراساته العليا هناك، كما زار إقبال في نفس اليوم قبر السلطان المغولي "هيمايون"، وعند عودته زار ضريح الشاعر "غالب". هذا وكانت هذه المنظومة تضم ستة وعشرين بيتاً، ثم راجعها إقبال فأبقى منها على واحد وعشرين بيتاً فقط، ونشرت في عدد أكتوبر من مجلة مخزن التي كان يصدرها الشيخ عبد القادر.

84- كليات إقبال - بانگ درا - لاهور - باكستان ١٩٩٨م- التجائ مسافر - ص ٩٦.

85- المرجع السابق - كوشش نا تمام: المحاولات غير المكتملة - ص ١٢٤.

86- المرجع السابق -شفا خانهء حجاز- ص ١٩٨.

87- المرجع السابق - مسلمان اور تعليم جديد - ص ٢٤٢.

88- كليات إقبال -بانگ درا - ص ١١١. وقد نشرت هذه المنظومة في عدد يناير عام ١٩٠٦م من مجلة مخزن.

89- المرجع السابق - ايک خط کے جواب مين- ص ٢٨٧.

90- المرجع السابق -كافر ومؤمن- ص ٥٠٦.